

ما هو التقمص؟

التقمص هو انتقال الروح (النفس) من جسد إلى جسد آخر عند الموت، فالجسد إنما هو قميص للروح تخرج منه لتدخل في جسد آخر، والروح في مذهب التوحيد خالدة تتحد مع الجسد لتكون الشخصية الآنية، والنفس ناطقة عاقلة جوهرية، شفافة، قابلة للصور، تقبل الجهل، كما تقبل العقل.

وإصطلاح العودة للتجسد.. ترجم بأشكال متنوعة كالولادة الثانية أو رجعة الروح.

قال الفلاسفة الماديون الطبيعيون: أن الكون بما فيه من إنسان وحيوان، ونبات، وجماد، هو تفاعل المادة وتلاقحها وإصطكاكها بحركاتها الاضطرارية. إن هذا القول لا يقبله العقل، ولم يثبتته العلم، فالروح المنبثقة من نور الله ليست مادة، ولا يمكن أن تكونها، وإذا سلمنا جدلاً أنها مادة،

فلا بد أن يكون لها موجد ، إذ لا وجود بلا موجد ،
إنها الدفق الرباني ، فبوجودها في الكائنات تتمثل
الحياة ، ونبضها وبزوالها تزول الحياة من كل
كائن ، وعندها يكون السكون والعدم. وهذا
مخالف لشريعة الحياة القائمة على التطور والتجدد.
لقد قال الفلاسفة في بحث الروح (النفس): أنها
هبطت من عالم العقل المجرد ، إلى عالم المادة
لتبلى ، وتختبر وتمحص ، ثم تعود إلى العقل لتسعد ،
أو لتشقى.

ويقول الموحدون (الدروز): إذا كانت الروح قد
أهبطت لتزكى وتطهر ، فالعدل الإلهي يوجب أن
يكون الموضع الذي تتطهر فيه ، أشرف من الموضع
الذي تخطئ فيه ، وتتنجس.

وإذا أهبطت جزاء زلاتها ، وعقوبة لها لفعل منها ،
حتى تكون في موضع يشاكل زلتها ، عندئذ لا
معنى للعبادة وخاصة أن الموضع النجس لا تجوز فيه

العبادة، حيث موضع كهذا يشابه زلتها، وذنسها، ولا يجب أن يكون فيه من يستحق منزلة الإفادة، وإذا كان ذلك، فيجب ألا تخرج منه والصحيح أن الموضع الذي تتزكى فيه النفس (الروح) وتتطهر أولى بمجاورتها من الموضع الذي تتلوث فيه، والعقل يشهد مع الإنصاف، أن الروح لم تزل، ولم تخطئ في هذا العالم.

يقول الفارابي:

(إن النفس منفردة بذاتها، وآرائها، وأحوالها، وهيئاتها وإن الأعراض ترتفع عنها في ذاتها، وجوهرها، خلال وجودها في الجسد، أو تكون سلبت منها الأفعال الجسدية مع إثبات وجودها) ومن المحتمل أن الفارابي قد قصد صعوبة تفهم نسبة الروح إلى المفارقة، وهي متحدة بالأجسام مفارقتها بجوهر، ونزاهة أفعالها العليمة عن الهيولات.

وتقول كتب التوحيد: أن النفس تبلغ كمالها الأخير وهي متحدة بالطبيعات، وأن كمالها في الأجساد أشرف وألطف من كمالها بمفارقة الأجساد. لأنها وهي متحدة بالجسد تكون مالكة للعالمين فتحكم بقوة ذاتها، وكمالها على الطبيعات، ومن ادعى غير ذلك فليثبت أن للروح فعلاً مجرداً بعد مفارقة الجسد، فبدون الجسد ليس للروح فعل.

وتمتلك الروح طبائع مختلفة، ولما كانت مركبة من جوهر يفعل ولا يفعل، وجوهر يفعل، وينفعل، وعرض ينفعل وليس بفاعل إلا بآلته، فإن ذلك يحتاج إلى محرك يستخرج معرفة الجوهر من العرض، ولو عاد كل منا إلى ما يحس به ويسمعه، ويتأكده، فقوة الإلهام الكامنة في الروح تختلف بأحاسيسها بحسب الطبائع التي كونت منها، ولذلك إن اليد التي تتصدق على الفقير، وتفعل

الخير، هي نفسها التي تغمد الخنجر في الصدر لتقتل.

ما هي حكمة الله في التقمص حسب ما قاله المؤمنون (الموحدون) بها؟

بحسب العدل الإلهي.. تحاسب الروح (النفس) بعد مرورها في الدهر الطويل، أي في الحيات المتكررة بالتقمص في هياكلها المادية، وفي هذا التكرار الاختباري للأدوار التي مرت بها، يأتي في النهاية البعث (القيامة) لتحاسب عن محصلة أعمالها، وبذلك يتحقق العدل الإلهي، حيث تكون النفس قد مرت في العديد من الامتحانات، وذلك يمنحها الفرص لاكتساب المعارف، والعلوم الروحية، والتفريق بين الخير والشر، فالنفس التي تسنى لها الهدى، والتعلم، والرشاد في حياتها الكثيرة، لا تقارن بمثيلتها التي لم يطل بها العمر الكافي لتتعلم، وتختبر، وترشد (الطفل الذي ولد، ثم توفى

بعد أيام، أو سنوات قليلة) فتكرار الحياة في هذا الكون يساعد الروح على التقدم، والارتقاء من درجة إلى أخرى حتى يوم الحساب حيث تؤدي حسابها عن أفعالها في العالم المادي والتي كانت فيه عاقلة ومسؤولة.

وفي القرآن الكريم (ولكل نفس ما كسبت، فإن أحسنت فلها وإن أساءت فعليها) صدق الله العظيم.

لقد كان لبعض الظواهر النادرة التي تحدث للناس بين الحين، والآخر من تذكر لحياة ماضية دافعاً لمشاهير علماء الفلسفة مثل أفلاطون، وفيثاغورث للتحدث عنها، والمناداة بها، فهل ظاهرة التقمص من أعماق اللاشعور للإنسان برفض الفناء والتشبث بالخلود.

ومهما يكن الدافع لتبني هذه الفكرة، فقد لاقت قبولاً بين شعوب عديدة، كما أنها لاقت رفضاً بين شعوب أخرى وكان السبب الرئيسي لرفضها، أو

قبولها، هو الدافع الديني لتفسير الحياة، والموت، مما أبقى هذه النظرية بعيدة عن التفكير، والبحث العلمي في عصرنا الحاضر.

وقد أثبتت بداية الدراسات حولها، أنه يمكن للعلم الخوض فيها، وربما الوصول لبعض الحقائق، ولو احتاجت لفترة زمنية طويلة، وجهد لا يستهان به، وذلك عائد إلى أن عامة الناس لا يوجد لديهم الحماس الكافي لدفع هذه البحوث واستكمالها، للوصول إلى نتيجة حاسمة سلبية كانت، أم إيجابية.

وإن عدم المبالاة بهذه النظرية، والبحث فيها يأتي من فئتين من الناس على طرفي نقيض، اتخذت كل منهما موقفاً مسبقاً ثابتاً.

فالمؤمنون بها كان الأمر واضحاً لهم، وهم على يقين بها فلا لزوم لبذل المال لإثبات ثابت كما الشمس في منتصف النهار.

أما الفئة الثانية، فموقفها الراض لها ثابت،
ويقيني ولا حاجة لهم للسعي لإثبات عدم صحتها،
وكلا الفريقين وصل إلى قناعة بعدم جدوى البحث
بها، وكذلك عامة الناس الذين لا يجدون لهم أية
مصلحة مادية، أو علمية تعود عليهم بالنعف حتى ولا
بالصحي من خلالها. لذلك ندر وجود الباحثين
الأكاديميين للبحث، والاستقصاء في موضوع
التقمص بشكل جدي فيما مضى من العهود
الحديثة.. بعكس ما هو الأمر عليه الآن.

إن إثبات نظرية التقمص تعني: أن (دينامو) وجود
الإنسان، وحركته، وتفكيره، وغرائزه، إنما هو
جوهر غير مادي، يتحد بالمادة (الجسد) طوراً، ثم
ينفصل عنها طوراً آخر، مع التقدير بأن هذا
الجوهر يخسر في انفصاله ميزات وإمكانات
حصل عليها خلال اتحاده بالمادة، بل لعله خلس
جوهره من درن المادة، وشوائبها، فشف، وتظهر.

إن بحثنا العلمي، الذي حثنا عليه الله سبحانه،
يمكن أن يوصلنا إلى فهم بعض من صفات الروح،
وخصائصها وقدراتها، وربما نستطيع في المستقبل
مثلاً فهم تصرفات الروح بعد مفارقتها للجسد،
وهل تعود ذات الروح على جسد آخر جديد أثناء
تشكله في رحم امرأة ما، وإذا كان الأمر كذلك
فهل لهذه الروح الخيار، أين، ومتى تعود؟.

أو نبقى كما قال الرسول الأعظم: (إنما الروح
علمها عند ربي).

ومع ذلك فأمام العلم، والبحث العلمي لا يجوز أن
نقول هذا يجوز البحث فيه، وذلك محرم البحث
فيه، لأن كل أمر في الحياة، مادياً كان، أو
روحياً، مهم جداً لتقدم، وسمو البشر، فالتعصب
بكل أشكاله، وألوانه مكروه.

كما تقول جميع الشرائع، والأديان.

فالمطلوب هو التقدم، والسمو الإنساني، وأشد
التعصب هو التعصب الفكري.

إن المصلحة الشخصية، والرغبات، والغرائز،
ومنطق العواطف، تحاول تغيير الحقائق. لذلك يأتي
البحث العلمي المترفع، والنزيه، والهادف للغايات
السامية، ليعمل على تحقيق الكشف، والمعرفة
الإنسانية لما يحيط بهذا الكون. وكل ذلك يبدأ من
فكرة، أو ملاحظة، قد تكون صحيحة، أو
خاطئة، وعلى العالم التحقق من صحتها، أو
نقضها، بعيداً عن الدوافع، والمرامي الشخصية،
والتعصبية. والسؤال هل وصل البحث في نظرية
التقمص إلى حقيقة ما؟ والجواب بالطبع لا. ولكن
هناك نتائج أولية مدروسة لتجارب أجريت من قبل
مجموعات علمية في بلدان مختلفة، لا يوجد أية
صلات بينها إلى نتائج متشابهة.

إن أول الباحثين في موضوع التقمص في العصر
الحديث هو البروفسور (إيان ستيفنسون) وذلك في
الخمسينات من القرن العشرين.